برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

الحلقة السادسة عشرة:
النفاق الاجتماعي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا عِلماً وعَملاً متقبَّلاً، أرنا الحق حقاً وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك، وبعد:

أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حَسَنَها، ونحذّر من قبيحها وسيئها_

عنوان هذه الحلقة: "النفاق الاجتماعي". والنّفاق من جنس الخداع والمكر، وإظهار الخير وإبطان خلافه.

يتظاهر كثير من الناس بالصدق والحب وقلوبهم مملوءة بالحقد والحسد والكراهية..!!

يمدح بعض الناس شخصاً ويكثرون الثناء عليه في حضرته، فإذا تولَّوا عنه سلقوه بألسنة حداد..!!

وآخر يسكت عن آخطاء الآخرين بقصد المجاملة على حساب الحق!

تُسمى هذه الأفعال وأمثالها بـ **"النفاق الاجتماعي"** وهو أمر شائع في مجتمعنا خاصة في مجال العمل والوظيفة، وبعض الناس يمارسه عن جهل في حين يتعمده آخرون، والمصيبة الكبرى أن تجد رب العمل أو مَن بيده زمام الأمور ابتلي مَن حوله بـداء النفاق.

- قال الحسن البصري -رحمه الله-: «تولّى الحجاج العراق وهو عاقل كيّس، فما زال الناس يمدحونه حتى صار أحمق طائشاً سفيهاً».

- وخلاف ذلك ما جاء أن عمر بن الخطاب ﷺ صعد منبر رسول الله ﷺ ثم قال: يا أيها الناس، ما إكثاركم في صُدُق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه وإنما الصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك. فلو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفنّ ما زاد رجل على أربعمائة درهم!!

ثم نزل، فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين، نهيتَ الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهم على أربعمائة درهم؟ قال: نعم. قالت: أما سمعت ما أنزل الله عز وجل في القرآن؟ فقال: فأنى ذلك؟ قالت: أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء:20] فقال: اللهم غفراً، كل الناس أفقه من عمر.

قال: ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب، فمن طابت نفسه فليفعل). [البيهقي في الكبرى، وعبد الرزاق، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق]_

ذكر الحافظ ابن رجب أنّ النّفاق ينقسم شرعا إلى قسمين:

نفاق أكبر: وهو أن يُظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كلّه أو بعضه (نفاق اعتقاد). وهو كفر صراح، بل هو أشدّ منه، ولذلك توعَّد الله المنافقين بدرجة في جهنّم لايصلاها سواهم لعظم ضررهم، وشدّة خطرهم يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145]

ونفاق أصغر: وهو أن يُظهر الإنسان شيئاً ويبطن ما يخالفه (نفاق العمل). وهو من الكبائر أيضاً، وقد اتّفق على ذلك الإمامان: الذّهبيّ وابن حجر.

وفي كلا الحالين فالنفاق مذموم وإن كان بعضه شراً من بعض. وحديثنا في النفاق الاجتماعي عن النوع الثاني، وقد يقال له نفاق اجتماعي، وقد يقال مداهنة.

وفي المعاجم دهن الرّجل إذا نافق. ومعنى داهن أي أظهر خلاف ما أضمر، فكأنّه بيّن الكذب على نفسه.

ولعل انتفاع الإنسان بخصم يذكره عيوبه يكون أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه بما ليس فيه ويخفي عنه عيوبه، فاتخِذ صديقاً صدوقاً خلوقاً ديناً، واطلب إليه نصحك عند زلَلِك.

- قال سيدنا عمر ▲: رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي، وكان الأعرابي يحاور عمر ويناقشه وهو على المنبر؟

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى عن أبي إسحاق قال: (دخلَت امرأة على عائشة ، فقالت لها: إني بعت من زيد عبداً بثمانمائةٍ نسيئةً، واشتريته منه بستمائة نقداً، فقالت عائشة رضي الله عنها: أبلغي زيداً أن قد أبطلتَ جهادك مع رسول الله ﷺ إلا أن تتوب، بئسما شريت وبئسما اشتريت).

واعتزلَ داود الطائي الناس، فقيل له: لم لا تخالط الناس، قال: ماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي.

الصاحب الصدوق يذكّرك إذا نسيت، ويعينك إذا تذكّرت، ويبصّرك عيوب نفسك، والصاحب السوء الداهن: يخفي عنك عيوبك، ولا يزال يمدحك حتى تعظم عندك نفسك، وربما نسيت فلم يذكّرك، وربما ذكرتَ فلم يعِنك.

كان رسول الله ﷺ يدعو يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق»** [أبو داود والنسائي].

ومن أبرز مواطن النفاق الاجتماعي حول الرموز والمشاهير والمياسير والمتفوقين، فترى لكل منهم بطانة يمارسون معه لعبة التضليل والتَّملّق والتّزلّف والمديح المزيف.

فعالم له أتباع يخلعون عليه صفات الكمال ويوهمونه بأنه بركة العصر، ووحيد الدهر وشبيه البحر، وأن الله نفع بعلمه العباد والبلاد، وأن كتبه وفتاويه ودروسه شرّقت وغرّبت، فيصدّق المسكين ويقع في الفخ ويصاب بداء العجب والتيه.

وسياسي عنده بطانة تقتات بكلمات الإطراء ومقامات الثناء الممجوج، وتوهمه بأنه الملهم وقلب الأمة النابض ومحبوب الجماهير، وتذكر له أحلاماً منامية كاذبة تدل على صلاحه وعدله وإيمانه واستقامته، وتخبره هذه البطانة أن العجائز في البيوت يدعون له، وأن الشيوخ والأطفال يعيشون على حبّه، وأن عدله وصل الجميع وبرّه وَجُوده عمّ الكل، فيتورّط في دهاليز العلو في الأرض والتّكبر على عباد الله والتّجبر على الأمة.

والتجار والمشاهير لهم جُلاّس وسُمّار يمارسون معهم لعبة الضحك على الذقون وتمويه الحقائق، ويعطونهم صورة خاطئة عن الواقع ليكسبوا الحظوة لديهم، وينالوا شرف صحبتهم، ويبتزوا أموالهم، فإذا غابوا عنهم سلقوهم بألسنة حِداد شِداد، فإذا أتيتَ تريد المكاشفة والصدق والوضوح والشفافية ضاع صوتك بين الأصوات وصرت ثقيلاً وأصبحت نشازاً، فتضطر رغم أنفك للمشاركة في حفل تأبين الضمير وفي جنازة موت الحقيقة، وهذا يدلّك على الغثائية التي وصلت إليها الأمة.

نحن لا نطلب من الناس سوء الأدب مع الرموز الدينية والسياسية والوطنية وسائر الناس، ولا التجريح ولا التشهير، ولكن نطالب بالكف عن هذا النفاق الاجتماعي وحجب الحقائق وإدخال هذه الرموز في نفق مظلم من الوهم، فلما ضعف الوازع الديني عند الأمة وقلَّ الصدق أكثرتْ من ألقاب المديح وصفات التّزلّف.

أيها الإخوة المستمعون:

بلفظ موجز: لا يليق بالمسلم أن يكون مداهناً منافقاً ضعيفاً عاجزاً عن قول الحق بالمعروف، كفانا ما وصل مجتمعنا إليه بطي الحق وتزيين الباطل، والخوف من إسدال النصيحة إلى أهلها.

فلنكن كما أرادنا الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران104]

وفي سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ * ﴾[العصر1-3].

هذا ما في جعبتي من الحديث عن النفاق الاجتماعي، أسأل الله تعالى أن ينفعني وإياكم بما سمعتم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته